

## كتاب "الطوفان" يكتسح الأساطير الغربية حول غزة وحماس و"إسرائيل"



ترجمة وتحرير: نون بوست

"الطوفان: غزة وإسرائيل من الأزمة إلى الكارثة"، الذي حرره جيمي ستيرن ووينر، هو كتاب لا يقدر بثمن، للخبراء والمبتدئين على حد سواء. إن حقيقة أن الأمر كذلك هو في جزء منه شهادة على رداءة التغطية الإعلامية الغربية لهذا الموضوع.

المؤلفون الثلاثة عشر المذكورون هنا - بدءًا من الأكاديميين المشهورين مثل آفي شلايم، الأستاذ الفخري في جامعة أكسفورد، إلى المساهمين المستقلين مثل "آر جي"، "الباحث والإنساني الذي يعيش في الولايات المتحدة" - جميعهم من المؤيدين الأقوياء للقضية الفلسطينية.

لكن لا يوجد أي فصل من الفصول مثير للجدل. وبالأحرى، يشكل الكتاب في معظمه بيانًا بسيطًا لحقائق صريحة يجهلها العديد من القراء الغربيين بشكل مخجل.

الفصول التي كتبها شلايم وزملاؤه الأكاديميون كولتر لوبرس وخالد الحروب ترسم خريطة لتاريخ غزة وحماس. إن حركة حماس ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفشل سلفها العلماني في طليعة النضال الفلسطيني، حركة فتح بقيادة ياسر عرفات، التي هيمنت على منظمة التحرير الفلسطينية.

وقد نبذ عرفات العنف سنة 1988 واعترف بدولة إسرائيل سنة 1993 كجزء من اتفاقيات أوسلو للسلام. وفي المقابل لم يحصل على شيء، فلقد قام الإسرائيليون بتسريع بناء المستوطنات غير القانونية في الضفة الغربية، ويبدو الآن أن عرفات نفسه قد قتل.

واليوم، فإن السلطة الفلسطينية التي أنشأتها اتفاقيات أوسلو، والتي لا تزال تسيطر على الضفة الغربية، تحظى بازدراء الفلسطينيين على نطاق واسع باعتبارها فاسدة ومتواطئة، ولا تزيد عن كونها سجانة لشعبها.

وقد كانت حماس، التي صعدت إلى الصدارة نتيجة لموجة من التفجيرات الانتحارية في التسعينات،

بمثابة نقيضها الرافض.

ولكن منذ سنة 2005، في أعقاب فشل الانتفاضة الثانية، شرعت هي أيضًا بشكل مبدئي في السير على طريق التسوية. ونبذت التفجيرات الانتحارية ووافقت على المشاركة في الانتخابات.

وبعد ذلك، أصبح تاريخ حماس حافلًا بالنجاحات الكارثية، وسلسلة من الانتصارات غير المتوقعة على الإطلاق، والتي مع ذلك لم تجعلها أقرب إلى تحقيق أهدافها.

تبرير الذبح

هناك حقيقتان تتكرران بشكل مقزز في وسائل الإعلام الغربية، وتخدمان فوق كل شيء آخر لتبرير المذبحة في قطاع غزة. لم يتم الطعن في أي منهما على الإطلاق وكلاهما غير صحيح.

الأول هو أن حماس تجبر السكان المدنيين على العمل كدروع بشرية. وكما يشير طلال هنجري، الكاتب المقيم في لندن، في فصله عن حركة التضامن الفلسطينية في المملكة المتحدة، فإن محققي حقوق الإنسان رفضوا ذلك.

وعلى العكس من ذلك، فقد وجدوا أدلة قوية على أنها ممارسة يستخدمها الإسرائيليون بانتظام.

والثاني هو أن حماس ملتزمة بشكل ثابت وغير قابل للنقض بتدمير إسرائيل، مما لا يترك للإسرائيليين أي مساحة للتوصل إلى تسوية. في الواقع، منذ سنة 2005، كما قال حروب، أشارت حماس مرارًا وتكرارًا إلى استعدادها لقبول دولة فلسطينية على أساس حدود سنة 1967، على الأقل على أساس مؤقت.

وقد تم إضفاء الطابع الرسمي على موقف حماس في وثيقة المبادئ والسياسات العامة لسنة 2017، والتي وصفت الدولة الفلسطينية "على غرار الرابع من حزيران/ يونيو 1967" بأنها "صيغة الإجماع الوطني". إن احتفاظها بورقة المساومة النهائية المتمثلة في الاعتراف الرسمي بإسرائيل أمر مفهوم بالنظر إلى تجربة فتح السابقة.

وقد تكون إسرائيل وحلفاؤها حذرين من صدق حماس، ولكن كما يشير لويس: "لم تفكر إسرائيل أو الولايات المتحدة في أي وقت من الأوقات خلال السنوات الخمس عشرة الماضية بجدية في اختبار عروض حماس للتفاوض على نهاية سلمية للصراع".

وخلافًا لكل التوقعات، فازت حماس في انتخابات سنة 2006 في غزة والضفة الغربية وشكلت حكومة وحدة وطنية.

وبعد تحذيرها من انقلاب تدعمه الولايات المتحدة من جانب فتح، تحركت في حزيران/ يونيو 2007 بشكل استباقي ضد خصومها في قطاع غزة. وقد شجعها الانهيار غير المتوقع لقوات السلطة الفلسطينية على السيطرة الكاملة.

"الموت هو خلاصهم الوحيد"

ومثلما فعلت فتح من قبلها، وجدت حماس نفسها فجأة في مواجهة التحدي المتمثل في الجمع بين الحكم والمقاومة.

فرض الإسرائيليون الحصار على الفور، هناك فصل قوي حول "الإبادة الاقتصادية" في غزة من تأليف سارة روي، الأكاديمية بجامعة هارفارد، يعرض بالتفصيل السياسة الإسرائيلية لما تسميه "تقويض التنمية".

وجاء في برقية للسفارة الأمريكية، نشرتها ويكيليكس، في تشرين الثاني/نوفمبر 2008: "كجزء من خطة الحصار الشامل على غزة، أكد المسؤولون الإسرائيليون (للمسؤولين الاقتصاديين في السفارة الأمريكية)

في مناسبات متعددة أنهم يعتزمون إبقاء اقتصاد غزة على حافة الانهيار دون دفعه إلى حافة الهاوية". ويجادل لويرس بشكل مقنع بأن العنف الإسرائيلي، بدلاً من أن يكون نتاجاً للعناد الفلسطيني، كان في كثير من الأحيان يهدف إلى إحباط أي إمكانية للتفاوض والتسوية.

وأشارت برقية للسفارة الأمريكية يعود تاريخها إلى سنة 1979 إلى أن "الإجراءات الإسرائيلية في لبنان تهدف إلى إضعاف موقف الفلسطينيين المعتدلين ودفعهم إلى مواقف متطرفة من شأنها أن تمنع الولايات المتحدة فعلياً من التعامل معهم".

وقد استمر هذا النمط، ويقدم كل من شلايم ولويرس وهلوب أدلة دامغة على أن حماس أظهرت في كثير من الأحيان استعداداً أكبر للتوصل إلى حلول وسط والالتزام بوقف إطلاق النار مقارنة بالإسرائيليين.

يتناول فصل من تأليف "آر جي" مسيرة العودة الكبرى في سنتي 2018 و2019، عندما تظاهر الفلسطينيون في قطاع غزة بالآلاف سلمياً من أجل حق العودة إلى أراضيهم في إسرائيل، ليتم سحقهم على يد القنصاة الإسرائيليين الجالسين خلف السواتر الرملية على بعد مئات الأمتار، وقتلوا أكثر من 200 شخص.

ومع انتخاب حكومة يمينية متطرفة في إسرائيل سنة 2022، يبدو أن حماس قد وصلت إلى طريق مسدود، وكتبت هلوب: "كان مصير مليون طفل أن يتعفنوا في معسكر اعتقال غزة، وكان الموت هو خلاصهم الوحيد".

وكتبت هلوب، في تصميمها على تجنب مصير فتح والتحول إلى مقال ثانوي بسيط للاحتلال الإسرائيلي "في 7 أكتوبر/تشرين الأول، ألقت حماس النرد".

واقع قاتم

وكان نجاحها المذهل في اختراق الحاجز واجتياح القواعد العسكرية الإسرائيلية بمثابة انتصارها غير المتوقع.

ولم يسع أي من المساهمين في الطوفان إلى تبرير ذبح المدنيين الذي أعقب ذلك، لكن الفصل الذي كتبه أحمد الناعوق عن وفاة 21 فرداً من عائلته الكبيرة في تفجير واحد - وهو الأكثر شخصية في الكتاب - يشكل إدانة قوية لوحشية الرد الإسرائيلي.

كما كتب الأكاديمي الأمريكي ناثن جيه براون في فصله "إلى الهاوية": "إذا كان لدى حماس خطة لمتابعة نجاحها بأي شيء أكثر جوهرية من مفاوضات الرهائن، فقد ظل هذا الأمر أكثر سرية من الهجوم الأولي، يبدو أن التكتيكات مرتبطة بالصلاة وليس باستراتيجية أو خطة".

وبالمثل، كما يقول، يبدو أن التدمير الإسرائيلي الوحشي لقطاع غزة لا ينطوي على أي خطة على الإطلاق لليوم التالي.

واليوم، كما في 6 تشرين الأو/لاكتوبر، يواجه الفلسطينيون الواقع المرير المتمثل في عدو عنيد، أقوى منهم بما لا يقاس، ومؤسسة سياسية غربية تبدو غير مبالية بمصيرهم.

ترسم الفصول التي كتبها ميتشل بليتينيك، المدير المشارك السابق لمنظمة الصوت اليهودي من أجل السلام، وهانجاري صورة محببة لكيفية استمرار استخدام مزاعم معاداة السامية لشيطننة ونزع الشرعية عن حركة التضامن الفلسطينية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة.

وكتب بليتينيك: "لقد تم تحويل التنافس على الحقوق الفلسطينية في الولايات المتحدة إلى حد كبير إلى معركة حول شرعية دعم تلك الحقوق"، ووصفت السكرتيرة الصحفية للبيت الأبيض، كارين جان بيير،

الحفنة الصغيرة من أعضاء الكونغرس الذين يدعون إلى وقف إطلاق النار بأنها "بغیضة" و"مشينة". وقالت: "لا يوجد جانبان هنا".

وتقدم كلير دالي، عضوة البرلمان الأوروبي الأيرلندي، صورة ثابتة لكيفية قيام أورسولا فون دير لاين، الرئيسة غير المنتخبة للمفوضية الأوروبية، باختطاف رد الاتحاد الأوروبي على أحداث 7 تشرين الأو/أكتوبر؛ حيث قدمت لإسرائيل دعمًا "لا لبس فيه" عندما لم يمنحها دستور الاتحاد الأوروبي الحق في القيام بذلك.

ويقول ناثن جيه براون: "إن هناك شفقا طويلا من التفكك واليأس ينتظرنا".

المصدر: ميدل إيست آي